رقم الترميز الدولي / ISSN (P): 2710-2653
ISSN (E): 2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 / 2019

تاريخ استلام البحث 4 / 11 / 2023
تاريخ قبول البحث 8 / 2 / 2024
تاريخ النشر 31 / 3 / 2024

الفكر القيادي الاستراتيجي للأمير عبد القادر الجزائري

The strategic leadership thought of Prince Abdul Qader Al-Jazairi

م.م. صدام أحمد دحام

Assist. Lect. Saddam Ahmed Daham

جامعة النهرين / كلية العلوم السياسية

Al-Nahrain University / College of Political Science

saddam.ahmed1201b@copolicy.uobaghdad.edu.iq

IRAQI Academic Scientific Journals

https://www.iasj.net/iasj/journal/393/issues

الملخص

تَحَمَل الأمير عبد القادر الجزائري أعباء القيادة في سن مبكرة، فتمكن من قيادة الدولة الجزائرية وجهاده ضد الاحتلال الفرنسي، وعُرِفَ الأمير عبد القادر الجزائري بأنه رجل قيادة وبطولة وحنكة سياسية وعسكرية واجتماعية، إذ تمكن في فترة قصيرة من تأسيس دولة لها نظام عسكري وإداري، أنزلت هذه الدولة الضربات الموجعة بالجيوش الفرنسية المحتلة في أي مكان وزمان أرادت، وبذلك أصبح اسم الأمير عبد القادر الجزائري مقترنا بالقيادة الاستراتيجية والشجاعة والفروسية، وما أن ذكر القادة الاستراتيجيين وبطولاتهم إلا وذكر معهم اسم الأمير عبد القادر الجزائري، إذ إن أغلب الدراسات التي تناولت الأمير عبد القادر قد ركزت على هذا الجانب القيادي من حياته. لذلك كان الهدف من هذا البحث هو الكشف والتعرف على الفكر القيادي الاستراتيجي للأمير عبد القادر الجزائري بشقيه السياسي والعسكري، وتسليط الضوء على أهم مفاصل أفكاره القيادية السياسية والدبلوماسية، إضافة إلى أفكاره القيادية العسكرية باعتبار أن الأمير كان رجل قيادة عسكري ميداني في المعارك التي خاضها ضد الاحتلال الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: "عبد القادر الجزائري" ، "فكر سياسي" ، ،"فكر عسكري"،" قيادة استراتيجية" ، "الجزائر"

Abstract

Prince Abdul Qader Al-Jazairi bore the burdens of leadership at an early age, so he was able to lead the Algerian state and its struggle against the French occupation. Prince Abdul Qader Al-Jazairi was known as a man of leadership, heroism, and political, military, and social acumen, as he was able, in a short period, to establish a state with a military and administrative system. These were revealed The state struck painfully at the occupying French armies wherever and whenever it wanted, and thus the name of Prince Abdul Qader Al-Jazairi became associated with strategic leadership, courage, and chivalry. As soon as he mentioned the strategic leaders and their heroism, the name of Prince Abdul Qader Al-Jazairi was mentioned with them, as most of the studies that dealt with Prince Abdul Qader have I focused on this leadership aspect of his life. Therefore, the aim of this research was to reveal and identify the strategic leadership thought of Prince Abdul Qader Al-Jazairi, both political and military, and to shed light on the most important aspects of his political and diplomatic leadership ideas, in addition to his military leadership ideas, given that the prince was a field military commander in the battles he fought against the occupation. French.

Keywords: "Abdul Qader Al-Jazairi" ، "Political thought" ، "Military thought " ،Strategic leadership" ، "Algeria"

المقدمة:

يعد تاريخ 5 تموز 1830م مفصليا في الذاكرة الجزائرية، وذكرى أكبر النكسات التي شهدتها الجزائر والتي قلبت واقعها ومجرى حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هذا التاريخ يمثل احتلال القوات الفرنسية للجزائر بعد أن خسر الحاكم العثماني "الدَاي حسين" معركة (سطاوالي) واستسلامه للقوات الفرنسية المحتلة، ومنذ ذلك الوقت باتت الجزائر تعيش حالة من الاضطراب السياسي والانهيار الاقتصادي والتفكك الاجتماعي، وبسبب كل هذه الأحداث المؤلمة برزت عدة شخصيات وطنية قادت المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي دفاعاً عن الوطن وعروبته، ومن بين هذه الشخصيات الأمير عبد القادر الجزائري الذي عرف عنه بشجاعته ودهائه وسمعته الحسنة. فقد برزت مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري والتي كانت أكبر مقاومة جزائرية وأطولها زمناً، وتمثلت هذه المقاومة في تأسيس دولة حديثة تقوم على أنظمة واستراتيجيات مدروسة وتقودها قيادة استراتيجية عظيمة، كان الهدف من هذه الدولة محاربة القوات الفرنسية التي غزت البلاد الجزائرية، ومن أجل ذلك أبدى الأمير عبد القادر الجزائري اهتماماً بالتنظيم السياسي والعسكري عبر تسخير أفكاره القيادية الاستراتيجية بشقيها السياسي والعسكري في بناء دولته.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أن الأمير عبد القادر الجزائري استطاع بفضل فكره القيادي الاستراتيجي وحنكته السياسية والعسكرية، أن يقوم بتأسيس دولته من جهة, ومن جهة ثانية جهاده ضد الاحتلال الفرنسي، رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر في ظل واقع سياسي واقتصادي واجتماعي صعب في فترة كانت الجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.

إشكالية البحث: يمكن تلخيص إشكالية البحث في السؤال التالي: ما هو الفكر القيادي الاستراتيجي للأمير عبد القادر الجزائري؟ وما هي أهم المفاصل التي تضمنتها أفكاره القيادية في الجوانب السياسية والعسكرية والدبلوماسية التي تم تطبيقها على أرض الواقع؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها: إن عظمة الأمير عبد القادر الجزائري وفكره القيادي الاستراتيجي في الجوانب السياسية والعسكرية والدبلوماسية، تكمن في قيادته للشعب الجزائري وبنائه الدولة الجزائرية، وجهاده ضد الاحتلال الفرنسي خلال مراحل حياته الكفاحية الطويلة، وهذه المكانة العظيمة وضعته ضمن أهم نماذج القادة الاستراتيجيين المتسمين بالبطولة والشجاعة.

منهجية البحث: اعتمدنا في كتابة البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي كأصل عام في سياق عرض الوقائع التاريخية وأحداثها التي مرت بها المراحل الحياتية للأمير عبد القادر الجزائري وعرض أهم منجزاته القيادية الاستراتيجية في إطار أفكاره السياسية والعسكرية، إضافة إلى استخدام منهج تحليل المضمون وذلك لغرض تحليل الوقائع التاريخية والمعاهدات التي عقدها الأمير وتحليل استراتيجيته العسكرية التي اتبعها في كفاحه المسلح ضد الاستعمار الفرنسي.

هيكلية البحث: لقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وخاتمة وثلاثة محاور، فالمحور الأول جاء بعنوان (المراحل الحياتية للأمير عبد القادر)، أما المحور الثاني جاء بعنوان (الفكر القيادي الاستراتيجي السياسي للأمير عبد القادر)، وأخيراً المحور الثالث حمل عنوان (الفكر القيادي الاستراتيجي العسكري للأمير عبد القادر).

المحور الأول: المراحل الحياتية للأمير عبد القادر

لتحديد ملامح الصورة القيادية الاستراتيجية للأمير عبد القادر في ذاكرة التاريخ، يجب المرور إلى مراحل حياته وذكر مميزات شخصيته، وعرض نظرة الآخرين إليه، ورأي الأجيال اللاحقة فيه.

أولاً: مرحلة النشأة والتكوين (1222هـ-1245هـ) (1807م-1830م)

هو "عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن مختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خده بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصن بن حسن المثنى بن حسن السبط بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)"[1]. وِلَدَ "الأمير عبد القادر الجزائري" في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة 1222هـ، الموافق 15 من شهر آذار سنة 1807م, في قرية تدعى (القيطنة)، قرب مدينة (معسكر) تقع في أقصى الجزائر الغربي, من أسرة تنتمي إلى أصول (مراكشية)[2]. نشأ "الأمير عبد القادر" في بيئة فكرية ودينية، حيث كانت ولادته في بيت علو ودين، فأبيه السيد "محي الدين بن مصطفى" كان أبرز رجال العلم والتصوف في الجزائر، وكان فقيهاً متبحراً في العلوم الدينية والشرعية، كما كان يعتبر مرجعاً دينياً في كل ما يتعلق بالأحاديث النبوية الشريفة، وكان يلقب بـ (الشريف) لانتسابه إلى سلالة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[3]. تربى "الأمير عبد القادر" في حِجرِ أبيه وأحاطه بعنايته ورعايته، واهتم به اهتمام كبير، ومنحه رعاية متميزة، وبذل "الشريف محي الدين" قصارى جهده في تثقيف وتعليم ولده، لما وجد فيه من علامات التفوق والذكاء، ففي الرابعة من عمره التحق "الأمير عبد القادر" بمدرسة أبيه في قرية (القيطنة)، وبدأت تظهر ملكات الولد العقلية لتدل على ذكائه ونبوغه، فقد كان يستطيع أن يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، وقد أصبح طالباً عندما كان في الثانية عشرة من عمره، أي أنه في هذه السن كان متمكناً من قراءة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وما أن بلغ الرابعة عشرة عاماً حتى قام والده بإرساله إلى مدينة (وهران) لغرض تحصيل العلم والمعرفة، فاستطاع تحصيلها وقراءة كتب الفلاسفة، ودرس الفقه وأصول الشريعة والحديث، حتى صار طالباً من طلبة الفقه وحافظاً للقرآن الكريم، إذ نال على تسمية (حافظ)، وذلك يعني أنه يستطيع قراءة القرآن وترتيله عن ظهر قلب[4]. ولم يكتف "الأمير عبد القادر" بحفظ القرآن الكريم ، بل حفظ الأحاديث النبوية الشريفة أيضاً التي اشتمل عليها صحيح البخاري[5]، وبعد هذه الرحلة العلمية إلى (وهران) عاد إلى بلدته (القيطنة)، وبدأ يعطي دروساً في جامع الأسرة حيث كان يفسر أصعب وأعمق الآيات والشواهد[6].

أما فضل أمه عليه فلا تقل أهمية عن فضل والده، فإذا كان والد "الأمير عبد القادر" شجعه على القراءة وتلقي العلم، وأحضر له رجال الفقه والعلم الذين كانوا في قرية (القيطنة) وخارجها لكي يتتلمذ على يدهم، ويأخذ عنهم العلم والمعارف، فإن والدة "الأمير عبد القادر" كأم لها هي الأخرى فضل كبير على ما كان يتحلى به من مبادئ إنسانية وأخلاق كريمة، فأمه كانت سيدة عظيمة بكل ما في هذا الوصف من معان، وكانت سيدة قوية الشخصية ففازت باحترام الجميع وإجلالهم[7]. من هذا النبع اغترف "الأمير عبد القادر" الفضائل الكريمة والخصال الحميدة فهو القائل: "لا أرى أجمل من أمي، لأن المراد هو جمال الأخلاق، والمرأة التقية غنية، إذ لا غنى إلا غنى القلب، والسيدة إذا كانت على ذلك الغنى وذلك الجمال، فلا شك في أنها تملأ العيون والقلوب بفضائلها"[8].

لقد نشأ "الأمير عبد القادر" في هذه البيئة الدينية الغنية بعظائم العلوم ومكارم الأخلاق، وتشبعت نفسه وقلبه وروحه بمبادئ الإسلام، دعمها أكثر عندما رافق والده في رحلات عدة أضافت إلى رصيده المعرفي الكثير، إذ كانت تلك الرحلات بمثابة تكوين ميداني نوعي في التنقل والتخييم، ونقصد بذلك رحلته الأولى إلى الحجاز لأداء فريضة الحج, ففي هذه الرحلة التي دامت ثلاث سنوات (1825م–1828م)، أمكن للأمير الاتصال بالشرق الإسلامي، والتعرف على بيئته العلمية، فكانت هذه الرحلة بالنسبة إليه رحلة تعلم ومشاهدة ومعايشة للوطن العربي, كما عززت هذه الزيارة ثقافته وتكوين شخصيته من خلال اطلاعه على أنماط مختلفة من الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، وأخذه العِلم عن علماء البلدان التي زارها وهي تونس ومصر والحجاز والشام وبغداد، كما زار الأمير رفقة والده مدينة دمشق وأقاما فيها عدة شهور وهنالك تعرفا على مشاهير العلماء، وكانا يقضيان أغلب وقتهما في المسجد الكبير عاكفين على القراءة الدينية[9]، وبعد دمشق توجه "الأمير عبد القادر" ووالده إلى بغداد في رحلة دامت شهراً, وزارا خلالها قبر الولي "عبد القادر الكيلاني"[10]. بعد أكثر من سنتين قضاها في الترحال، عاد إلى قريته (القيطنة)، واعتزل في بيته مدة طويلة خصصها للعبادة ومطالعة الكتب الكثيرة، فكان يطالع إلى جانب الكتب الدينية والأدبية كتب الفلسفة والتاريخ، وهكذا قرأ أعمال "أفلاطون" و "فيثاغورس" و "أرسطو"، ودرس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديم والحديث وعن الفلسفة واللغة والفلك والجغرافية والطب، وقد تجمعت لديه مكتبة ضخمة، كما مكنته عزلته من التعمق في دراسة الفقه وأصول الدين والحديث وعلم الكلام، فبرع في كل ذلك براعة ظهرت آثارها في كتاباته[11]. ولكن لم تظل عزلة "الأمير عبد القادر" الدراسية بين كتبه ومباحثه، إذ بدأت عام 1830م مرحلة ثانية من حياته وهي مرحلة (الإمارة والجهاد).

ثانياً: مرحلة الإمارة والجهاد (1245هـ–1264هـ) (1830م–1847م)

أول محطات هذه المرحلة (حادثة المروحة)[*]، وقد اعتبرت السلطات الفرنسية هذه الحادثة إهانة لها، ويجب الاقتصاص من الجزائر لرد الاعتبار لشرفها العظيم، فسعت إلى كسب تعاطف دولي لما ستتخذه من إجراءات، فاستدعت سفراء الدول الأجنبية، وأبلغتهم بالإهانة التي لحقت بقنصلها في الجزائر، هذا القنصل الذي

كان يثير "الدّاي حسين" عمداً[12]. وبحقد دفين استغلت فرنسا (حادثة المروحة) إلى أقصى حد ممكن، واتخذتها ذريعة لشن العدوان واحتلال الجزائر، بعد اتخاذ مجلس الوزراء الفرنسي قراراً نهائياً يقضي باحتلال الجزائر، وقد عينت الحكومة الفرنسية وزيرها للحربية المارشال "ديبورمون" (Debourmont) قائداً عاماً للحملة والأميرال "دوبري" (Dubre) قائداً للأسطول البحري[13]. وفي 19 حزيران 1830م نزلت القوات الفرنسية بمرسى (سيدي فرج) قادمة من ميناء (طولون) الحربي مجهزة بعتاد حربي كبير، ولما بلغ الخبر "الدّاي حسين" أمر صهره "يحيى آغا" بأعداد العدة وتجهيز جيش لمقاومة العدو، وبعد حروب ووقائع مهولة ابتدأت من يوم وطأة أقدام الاحتلال أرض الجزائر إلى غاية 5 تموز 1830م استطاعت القوات الفرنسية المجهزة بأحدث العتاد الحربي احتلال العاصمة الجزائر صباح يوم 5 تموز 1830م[14].

وبعد هذه الهزيمة اضطر "الدّاي حسين" إلى عقد معاهدة استسلام مع القائد العسكري الفرنسي "ديبورمون" في 13 محرم سنة 1246هـ الموافق 5 تموز سنة 1830م، وتنص بنودها على تأمين الدّاي وأسرته وأمواله مقابل تسليم القلاع الخاصة بمدينة الجزائر وأبواب المدينة للجنود الفرنسيين، وبعد التوقيع على المعاهدة غادر "الدّاي حسين" البلاد ونكست إعلام الدولة العثمانية، وحل محلها رايات فرنسا، وانتشر الجنود الفرنسيون في البلد وتم استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر، وبلغوا أمنيتهم التي كانوا يتمنون الحصول عليها منذ سنين عديدة[15]. وظنت فرنسا أنها بالاستيلاء على مدينة الجزائر قد نالت مطالبها وحققت طموحها، وأنها ستتوسع في كل بقاع البلاد بحرية وسلام، إلا أنها تفاجأت بالمقاومة الشعبية التي نهض بها الأهالي، وعلى الرغم من قلة عدتها وضعف تنظيمها، إلا أنها أعطت أروع الأمثلة في الدفاع عن الأرض والعرض، ولقنت فرنسا دروساً خالدة في الشجاعة والفداء، وكلما أصر الأهالي على المقاومة والجهاد، ازدادت فرنسا تنكيلاً وتشريداً وارتكاب أبشع الجرائم في حق الشعب الجزائري الأعزل، بهدف إضعاف إرادته وإخماد عزيمته، ولم تكن المقاومة الوطنية لتضعف لولا الافتقار للعدة والتنظيم والقيادة الموحدة، ونتيجة لهذا الضعف انتشرت الفوضى وعَمَ البلاء، واضطربت الأحوال في البلاد[16].

في غضون هذه الظروف الصعبة، اجتمع أعيان الجزائر وعقدوا مشاورات طويلة لدراسة ما وصل إليه أمر البلاد، فلجأوا إلى "الشريف محي الدين" والد "الأمير عبد القادر" عارضين عليه تولي الإمارة وقيادة الجهاد في سبيل التحرر من الاحتلال الفرنسي، فأعتذر إليهم متذرعاً بكبر سنه وشيخوخته، وعدم قدرته على تلك المسؤولية الكبيرة[17]، وأشار عليهم بإيفاد وفد إلى سلطان المغرب الأقصى المولى "عبد الرحمن بن هشام" للانضمام إليهم، فقبل السلطان وأوفد ابن عمه "عليا بن سليمان" أميراً على البلاد، واتخذ مدينة (تلمسان) مقراً رسمياً له، لكن فرنسا لم يرق لها هذا الفعل، فأوعزت إلى سفيرها الرسمي في (طنجة) أن ينذر السلطان المولى "عبد الرحمن" بعداوة فرنسا له، وإعلانها الحرب على بلاده إذا لم ينسحب ابن عمه من الغرب الجزائري، فرضخ السلطان المغربي لأمر فرنسا وطلب من ابن عمه الانسحاب من الجزائر، فانسحب بعد أن مضى على توليه زمام الحكم ستة اشهر، وتَرَكَ احوال البلاد على ما كانت عليه من الفوضى والاضطراب[18].

اجتمع أعيان الجزائر مرة ثانية، وألحوا على "الشريف محي الدين" تولي الإمارة، وهو يمتنع عن ذلك، وبقوا على هذا الحال مدة سنتين، والمقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي دون قيادة استراتيجية موحدة تقود العمليات الجهادية، ولما شاهد "الشريف محي الدين" تفاقم الأمور إلى الاسوء واضطراب الأحوال اقترح ولده "عبد القادر" لتولي الإمارة وقيادة الكفاح الجهادي الجزائري، ورآه هو الأنسب لذلك، لأنه شاب تقي فطين وصالح لفصل الخصوم والأقدر على القيادة[19]، كان "الأمير عبد القادر" في ذلك الوقت يحارب الفرنسيين في مكان يدعى (حصن فليب) فقصدوه، ولم يتردد حين عرضوا عليه اقتراح أبيه، قائلاً لهم بروح الواثق من نفسه: "أنا لها، أنا لها"[20]. وعقدوا له البيعة حينها في آخر شعبان سنة 1248هـ، ورضي به الصغير والكبير والجليل والحقير[21]، وبعد هذه البيعة الخاصة، انعقد مجلس عام حضره جمهور غفير من الأشراف والعلماء والرؤساء من كل القبائل وجرى فيه عقد البيعة الثانية في قصر الإمارة في 13 رمضان 1248هـ، واختار الأمير مدينة (معسكر) مقراً لإقامته تكريماً لأهلها وتطييباً لنفوسهم لأنهم كانوا دعاة هذه الإمارة وكانت منها حركته وقيادته الكفاح الجهادي وذلك في 4 شباط 1833م[22].

صرف الأمير همته وعزيمته إلى إنشاء دولة قوية متحدة لها دستورها ونظامها وجيشها، وعمل على إصلاح أحوال البلاد ما استطاع إليه سبيل، وتنظيم الجند، ووضع له قوانين تحكمه، استعداداً لخوض المعارك ومقاتلة العدو ومقارعته أينما ذهب، وبفضل القيادة الاستراتيجية والحنكة العسكرية للأمير، حقق انتصارات متوالية على الفرنسيين، مما أخضع السلطات الفرنسية إلى عقد معاهدات هدنة معه، ابتدأت بمعاهدة (دي ميشيل) سنة 1834م مع الجنرال "دي ميشيل" (Demichel) حاكم وهران في حينها، ثم عمد الفرنسيون إلى نقض الهدنة فتجدد القتال، واشتدت المعارك بين الطرفين، ونظراً للتقدم العظيم الذي حصل عليه الأمير في ميادين القتال، اضطر الجنرال "بيجو" (Begeaud) حاكم وهران الجديد إلى عقد معاهدة أخرى مع الأمير سميت بمعاهدة (تافنة) سنة 1837م[23].

اجمع ساسة فرنسا بأن بنود معاهدة (تافنة) كانت كلها في صالح الأمير، ومن هؤلاء الساسة الفرنسيين "ديمرمون" (Demormont) الذي رأى "أنها أحطت من شأن فرنسا، وحققت للأمير فوائد سياسية هامة، منها حصوله على اتفاقية سرية تؤكد اعتراف فرنسا بدولته القومية"، أما السياسي الفرنسي "روسي" (Rousset) فأكتفي بالقول: "إنها العن وأخطر من معاهدة دي ميشيل"، لتنقض فرنسا مرة أخرى هذه المعاهدة، وتعود الحرب من جديد بين الأمير والفرنسيين في تشرين الأول عام 1839م[24].

أدرك الأمير أنه لن يستطيع تحرير شمال أفريقيا من العدو الفرنسي إلا بإقامة وحدة مغربية، فاتصل بسلطان مراكش فلم يأبه بالأمر، على عكس أهالي المغرب الأقصى الذين اشتعلت فيهم نار الغيرة العربية والإسلامية، فكتبوا إلى "الأمير عبد القادر" وطلبوا منه أن يأتي ويتولى عرش مراكش فلم يقبل الأمير ذلك، عندها استغلت فرنسا هذه الحادثة وأوهمت سلطان مراكش بأن الأمير طامع في عرشه وبلاده، وأمرته بأن يلقي القبض عليه، فجهز السلطان جيشاً جراراً للقبض عليه، وأصبح الأمير بين نارين إما السجن في مراكش أو الاستسلام

لفرنسا، فأضطر للاستسلام في 13 من كانون الأول 1847م، ومن بين شروط الفرنسيين أن يذهب الأمير وأسرته إلى مكة أو الإسكندرية، وفي 25 من كانون الأول سنة 1847م ركب الأمير وعائلته وبعض اتباعه السفينة (اسمودوس) (Asmodeus) التي توجهت بهم إلى ميناء (طولون)[25].

ثالثاً: مرحلة الأسر والنفي (1264هـ-1300هـ) (1847م-1883م)

وصلت السفينة الحربية (اسمودوس) إلى ميناء طولون في 1 كانون الثاني 1848م، ونقضت فرنسا عهدها واعتقلت الأمير وأودعته السجن، وعرضت عليه القصور والأراضي الشاسعة فرفض، وكان الهدف من سجن الأمير تحطيم رمزيته الكبيرة في نفوس الشعب الجزائري، وبعد مرور أربع سنوات من أسره، وفي عام 1852م زاره (نابليون الثالث) حاكم فرنسا في سجنه وأبلغه بإطلاق سراحه بشرط عدم عودته إلى الجزائر[26]. توجه الأمير إلى (بروسة) وهي مدينة تقع غرب تركيا, ومكث بها ثلاث سنوات، ثم رحل إلى دمشق وأقام فيها مدة سبعة وعشرين عاماً (1856م-1883م)، وفي عام 1862م غادر الأمير دمشق متوجهاً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبعد أن قضى الأمير في مكة المكرمة والمدينة المنورة مدة عام ونصف، عاد إلى دمشق فأستأنف حياة التدريس والمطالعة[27].

رابعاً: مرحلة المرض والوفاة (1300هـ) (1883م)

كان الأمير في شبابه وكهولته يتمتع بصحة جيدة، وفي آخر أيامه أصيب بآلام وأوجاع خفيفة بالمثانة وحصر البول، وكان يخف عليه المرض أحياناً ويشتد أخرى حتى وافاه الأجل في منتصف ليلة 19 رجب عام 1300هـ الموافق 24 إيار عام 1883م في قصره بمصيف (دمر) عن عمر ستة وسبعين عاماً، كلها كفاح وجهاد وبطولة، ونقل جثمانه إلى داره في دمشق، وبعد أن جهز جثمانه وصلى عليه في الجامع الأموي الكبير، شُيِّعَ إلى مقره الأخير في جامع الشيخ الأكبر بالصالحية في موكب رهيب ضم كبار العلماء والأعيان ووزراء الدولة وضباط الجيش، والجماهير الشعبية كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، ودفن بجوار الشيخ "محي الدين بن عربي"[28]. وفي عام 1388هـ الموافق 1968م رغبت الحكومة الجزائرية وبعد سبع سنوات من استقلال الجزائر، بنقل رفات الأمير إلى بلده الجزائر، فتم ذلك في احتفال رسمي مهيب[29].

المحور الثاني: الفكر القيادي الاستراتيجي السياسي للأمير عبد القادر

لم يكن يتصور أعداء "الأمير عبد القادر" بأن الرجل العربي البدوي يملك فكراً قيادياً سياسياً استراتيجياً، وله حنكة سياسية كبيرة، ونستدل على ذلك من خلال مسيرته السياسية.

أولاً: اتخاذ القرارات الصعبة من أجل مصلحة الوطن

تميز الأمير بقدرته على اتخاذ القرارات الصعبة وتغليب مصلحة الوطن في حالة الحرب والسلم أيضاً، إذ كان قائد ديمقراطي يستشير في كل المسائل التي تهم الأمة مع مجلس الشورى الذي أنشأه، ومن مهام هذا

المجلس النظر واتخاذ القرارات في ما يخص قضايا ومصالح الدولة، مثل صياغة الرسائل والمناشير التي ترسل إلى القبائل الجزائرية، والنظر في أحكام القضاة في كل مقاطعات وأجزاء الدولة، وفرض الضرائب، والنظر في القضايا الجنائية[30]، أن هذه المؤسسة الديمقراطية المتمثلة بمجلس الشورى التي أنشأها الأمير، كانت تتخذ قرارات كثيرة في صالح الشعب الجزائري، إذ إن ثلثي المساحة الكلية للجزائر تخضع لسلطتها، وحتى المناطق البعيدة التي تحت سلطة الاحتلال الفرنسي، فإن سكانها يخضعون لقرارات الدولة الأميرية الجزائرية[31].

إن الأمير لم يكن متعصباً، إذ أدرك أن الرجل القيادي في الدولة لا بد أن يكون سياسياً ومحاوراً ومرناً, كما لم يكن من السهل قيادة هذه الدولة، وقد واجهتها النكبات، فالحملة الاستعمارية كانت ما تزال مستمرة مع التصدي للقبائل الثائرة، ومحاولة نقل السلطة من الأتراك، ووجود فراغ سياسي نتيجة هذا التغيير، ومع ذلك فإن الأمير تحلى بالصبر وبرجاحة العقل وبالحنكة السياسية المعهودة، فكان يدرك عدم التزام الحكومة الفرنسية بالعهود، فهيأ دولته لكل طارئ، فهو القائل لما نقضت فرنسا معاهدة (تافنة): "جَرَت لهم علينا ولنا عليهم جولات ودولات, مرة لنا ومرة علينا، ونكبات لا تكاد توصف في الفريقين وحشرنا بتلك النواحي من قبائل ترارة والساحل، وعساكر بني بزناسن وفرسان صناديد أنجاد، ورَصَنا كما قال أبو سفيان يدال علينا مرة وندال أخرى والحرب دُول وسجال"[32]. اعتمد "الأمير عبد القادر" في سياسته الداخلية على تطبيق الشرع الإسلامي، وكان مصراً أن تكون التشريعات مصدرها القانون الإلهي وليس الوضعي، وقد استجاب الشعب الجزائري لذلك استجابة قوية وخاصتاً في مسألة جمع الضرائب، أما فيما يتعلق بالمعاملات الخارجية فقد اتخذ الأمير قرارات مهمة لا تضر بمصالح الأمة عندما وقع اتفاقيات الصلح مع الاحتلال الفرنسي، إذ رأى أن ذلك يصب في صالح الجزائر، مثل اعتراف فرنسا بسيادة الأمير على إقليم وهران، وحرية التجارة، واحترام الدين الإسلامي[33].

ثانياً: تسيير أمور وأجهزة الدولة

استطاع الأمير في أقل من عشرين شهراً من توليه الإمارة إنشاء دولة فتية ذاعت شهرتها في المشرق والمغرب، وتحدث الناس عنها في المحافل والنوادي، أرهبت العدو وبعثت فيه روح الخوف والفزع، ولقد سار الأمير في سياسته الشعبية على أساس تحقيق العدل والديمقراطية للشعب وفق مطامحه، ولم يحد عن هذا المبدأ، أي مبدأ حكم الشعب بإرادة الشعب طيلة حكمه[34].

ظهرت قوة وشخصية الأمير وفكره القيادي السياسي من خلال تسيير الدولة اقتصادياً واجتماعياً، حيث لما أسس أركانها وضع نظام اقتصادي حداثي مغاير تماماً للفترة العثمانية في الجزائر، هذا النمط يسير وفق متطلبات ورغبات المجتمع المعيشية، ووفق ما تمليه ظروف الحرب، فظهر التوجه القيادي الوطني لدى الأمير خاصة في عملية تحويل المجتمع الجزائري من شكل نظام قبلي إلى نظام الدولة الحديثة، وأراد إحداث قطيعة تخص بالدرجة الأولى البُعد القبلي لنظام الحكم في الجزائر، في إطار مشروعه الكبير لبناء دولة المؤسسات الحديثة، تلغى فيها الممارسات السياسية والاجتماعية ذات الطابع الطائفي والعرقي والقبلي، ونجح في إرساء

قواعد بناء مؤسسات تشرف على إدارة دواليب الحكم الجديد، في إطار تنظيم سياسي لا مركزي يفتح المجال لمشاركة السكان المحللين في شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية[35].

وفي ظرف قصير تمكن من خلق نظام اقتصادي واجتماعي مغاير تماماً لما كان موجوداً في الفترة العثمانية ويعود ذلك إلى قوة الشخصية القيادية للأمير ونزاهته، فكان لا يطمع في مال المسلمين، ولا يستغل نفوذه لخدمة أغراضه الخاصة[36]، وقد حاول الأمير خلق مجتمع متماسك ومترابط وفق المبادئ الإسلامية، واستغل بذلك الظروف المحلية والخارجية للبلاد ومعرفته الدقيقة بعقلية شعبه، كما حاول أن يجمع هذه الأمة على كلمة الجهاد لمناهضة الاستعمار، فقد استغل الأمير الهدنة مع الفرنسيين لتقوية سلطاته ونشر نفوذه وبناء دولته على أسس متينة استناداً إلى معرفته بطبيعة شعبه وكان ميالاً إلى الاستفادة من الأوربيين ومزاياهم[37].

ثالثاً: النشاط الدبلوماسي وإيجابيات المعاهدات على الدولة الجزائرية

تميز الأمير في مراسلاته ونشاطه الدبلوماسي الخارجي مع الدول بالخبرة السياسية والدبلوماسية، فعمل أولاً على ربط الصلة وتوثيق أواصر الإخوة مع سلطان مراكش والشعب المغربي، وجرى بين الأمير والسلطان مراسلات دبلوماسية، أسفرت عن تعيين سفير فوق العادة بفاس من قبل الأمير، وبودلت الهدايا بينهما، كان من بينها ذخائر حربية بعثها السلطان إليه في نطاق المساعدات الحربية، ثم راسل الأمير "باي تونس" أيضاً، وبودلت بينهما الهدايا والرسل، وكاتب خديوي مصر، وشريف مكة، وحكومة بريطانيا، وبعد نقض معاهدة (تافنة) راسل الأمير بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية عن طريق قناصلها في طنجة وجبل طارق، وراسل الدولة العثمانية، أما فرنسا الدولة المحاربة له، فقد تبادل معها التمثيل الدبلوماسي منذ إبرام معاهدة (دي ميشيل) عام 1834م[38].

إن هذه المعاهدات التي عقدها الأمير تعتبر من المبادئ المهمة التي توضح فكر الأمير القيادي في المجال السياسي والدبلوماسي، حيث استفاد من المعاهدات التي عقدها مع الاحتلال الفرنسي إضافة إلى السلام، فإنه استعد للحرب أتم استعداد، كما تمكن من إيجاد شخصية سيادية وقانونية لدولة الجزائر، إذ بالنسبة لمعاهدة (دي ميشيل) عام 1834م، فإن الأمير ضمن مكاسب كثيرة منها توسيع حدود سلطته، ومقاومته لاسترداد أراضي الاحتلال، كما جعل من الإدارة الفرنسية أن تعترف لأول مرة بعد سقوط مدينة (الجزائر) 1830م بزعامته على كل الأراضي المحررة، كما أنه فاوض هذه الإدارة من موطن قوة لا ضعف، يقول تشرشل: "أمل عبد القادر ضمن حقه أن يهنأ على أكاليل الغار فقد أرغم عدوه على طلب السلام ووضع شروطه الخاصة، ولم يدفع أي جزية، ولم توضع أية حدود على منطقته، وقد اعترف له الجنرال الفرنسي بالاستقلال يعرضه عليه تعيين واستقبال القناصل، وكان على الفرنسيين أن يشحنوا من ميناء واحد فقط، وان يخضعوا لضريبته الجمركية"[39].

أما بالنسبة إلى معاهدة (تافنة) 1837م، فإن الفرنسيين لم يستفيدوا من هذه المعاهدة استفادة حقيقية، إذ كل المكاسب التي حصلوا عليها مثل (تلمسان والمدية ومنبع التافنة)، ولم تتم المبادلات التجارية مع الداخل حسب ما نصت عليه المعاهدة، والتي كان الفرنسيون يعدونها مكسباً حققوه بفضلها، لأن الأمير لم يلبث أن منع رعاياه من إقامة علاقة من أي نوع كانت مع (وهران) التي كانت تخضع للسيطرة الفرنسية[40].

وبذلك نجحت دبلوماسية الأمير في تحقيق مكاسب كثيرة سياسية وعسكرية واقتصادية، وباعتراف الكثير من قادة فرنسا وساستها، فالأمير شخصية قوية ومحاور صلب حقق الكثير من المكاسب لوطنه، فلقد شكلت معاهدة (دي ميشيل) التي عقدها مع الإدارة الفرنسية عائق أمام سياسة الاحتلال بمعناها الاستغلالي والتوسعي، لا سيما بعد أن عزم الأمير وشرع في مد نفوذه خارج إقليم وهران نحو إقليمي الجزائر والمدية، تمهيد لتوسعه في اتجاه شرق البلاد، طبقاً لنص معاهدة السلم المذكورة ووفقاً لنظرة الأمير الخاصة حول الوجود الفرنسي بالجزائر، ونفس الأمر بالنسبة لمعاهدة (تافنة) فإن الأمير أراد من هذه الاتفاقية وبذكائه الدبلوماسي الخارق، أن يبسط سيادته على ثلثي مساحة الجزائر وأن تمثل حكومته في هذه الاقاليم[41]، وبهذا تمكن الامير وبحكمته العالية من إدارة الاتفاقيات والمفاوضات, وحقق من خلالها انتصارات على كافة الأصعدة سياسياً وعسكرياً، ويعود ذلك إلى حنكته ورجاحة عقله وقوة ذكائه وخبرته القيادية الاستراتيجية، ولقد كانت معاهدة (دي ميشيل) 1834م ومعاهدة (تافنة) 1837م دليل انتصار دبلوماسي مزدوج، وقد كانت نتيجة جهود جبارة بذلها الأمير على الصعيدين السياسي والعسكري[42].

المحور الثالث: الفكر القيادي الاستراتيجي العسكري للأمير عبد القادر

تبنى "الأمير عبد القادر" خلال مرحلة بناء الدولة وجهاده للمستعمر الفرنسي، استراتيجية واضحة تتم عن مدى حنكته العسكرية في التعامل مع مختلف الأحداث والمعارك التي خاضها، والدليل على ذلك مسيرته الجهادية والبطولية ضد الاحتلال الفرنسي.

أولاً: بناء وتنظيم الجيش

أن أول ما فكر به الأمير عند تأسيس دولته في ظل الواقع الذي تعيشه الجزائر هو كيف تكون دولته قوية ليجابه بها الأعداء, ولتحقيق ذلك لا بد من تجهيز القوة العسكرية من جيوش وعتاد, إذ إنها أداة إلى فرض النظام والأمن في ربوع الدولة الفتية التي كانت منتشرة بها الفوضى والاضطرابات بعد رحيل العثمانيين, حيث إن التنظيم الاجتماعي في الجزائر حين تولى الأمير السلطة، كان يعتمد أساساً على القبيلة والحمية العصبية، أما ما يعرف بالوطنية والقومية فقد كان مفهومها غير متقبل أو غير متعارف عليه، وحتى في حالة الحرب أو المنازعات كانت القبائل تجمع أفرادها وفرسانها لتغزو بهم أو تنال بهم عدواً مهاجماً، وفور انتهاء المعركة يعود كل فرد إلى عمله المعتاد, فلم يكن نظام الجندية مطبقاً في القبائل[43].

وقد عقد الأمير مجلساً عاماً من رجال الدولة وأعيانها وزعماء القبائل الجزائرية وخطب فيهم خطبة، أوضح فيها فوائد الجيش النظامي ومنافعه، وأخبرهم أنه اعتزم تنظيم عدد كافٍ من الجنود لمحاربة العدو، فأيد طلبه جميع الحاضرين وخرج المنادي إلى السوق قائلاً: "ليبلغ الشاهد الغائب أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد، فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي وليشمله عز النظام فليسارع إلى دار الإمارة (معسكر) ليقيد اسمه في الدفاتر الأميرية"، ومن هنا بدأ الأمير في بناء وتنظيم جيشه وأطلق عليه اسم اللواء المحمدي[44].

ولم يول الأمير مهمة قيادة الجيش أحداً، بل تصدى بنفسه لتدريبه وتنظيمه والإشراف عليه لما يمثله هذا القطاع من أهمية بالغة فعليه تتوقف قوة الدولة وعزتها ومناعتها، فالإشراف على الجيش يكون بشكل مباشر من قبل الأمير بنفسه، وهو يعلم الصغيرة والكبيرة فيه، فقسم الأمير جيشه إلى ثلاث فرق: فرقة المشاة وفرقة الخيالة وفرقة المدفعيين، ووضع القوانين العسكرية لهذا الجيش فيما يتعلق بالانضباط والرواتب وملابس الجنود، وكانت هذه القوانين والتنظيمات العسكرية تتلى مرتان في الشهر لمختلف وحدات الجيش وكانت تتخللها توصيات مباشرة من جانب الأمير فيما يخص العهود والسلوك الطيب[45].

ولهذا اتجهت نظرة الأمير القيادية الاستراتيجية إلى إعطاء جانب بناء الجيش وتنظيمه الأولوية المستحقة، والتغاضي عن ذلك سيعرض سلطانه ودولته دوماً للخطر والزوال، لأن فرنسا صاحبة الجيوش المدربة والمنظمة والعتاد الحربي الحديث، وان الضباط والجنود الفرنسيين أصحاب كفاءة عالية تدريباً وقتالاً، لذلك كانت هذه الحقائق غير خافية على الأمير القائد[46].

ثانياً: تسليح الجيش

إن كل جيش في العالم يحتاج إلى عتاد وأسلحة حتى يقوم بالدور الموكل به على أحسن وجه، فلا جيش بلا سلاح، ومتى ما كان التسليح والتدريب جيدين فإن الجيش يصل إلى درجة يمكن الاعتماد عليه داخلياً وخارجياً، ولذلك جعل الأمير من تسليح الجيش مهمة أساسية تحمل أعبائها بنفسه، وطرق كل السبل لتحقيق هذه الغاية النبيلة، فمن بين الإجراءات الأولى التي اتخذها لحماية عاصمة الدولة الجديدة هي تزويدها بالمدافع، كما وجه بعثات كثيرة إلى مختلف الدول لشراء الأسلحة، واتفاقاً مع سياسته التي ترتكز على الحصول على السلاح من أي جهة وتنويع مصادر التسليح[47]. فَكَرَ الأمير مبكراً في استقلاليته في ميدان التسليح، وذلك بمحاولة امتلاك صناعة وطنية حربية، وقد كان في توقيع معاهدة (تافنة) بين الأمير والفرنسيين فرصة لتحقيق ذلك وللاستفادة من الفرنسيين في إنشاء المصانع الحديثة للأسلحة والذخيرة بما في ذلك المدافع الثقيلة في كل مدن دولة الأمير[48]، إذ كان يصنع البارود بهذه المدن إضافة إلى صناعة المتفجرات والقنابل وصناعة عيارات الرصاص وإنتاج قوالب عيارات الرصاص وصناعة البنادق وصناعة المدافع[49].

ونظراً للفكر القيادي العسكري الواعي راح الأمير يرتب الجيش ويدربه وينظمه ويسلحه فيحسن تسليحه بقدر ما أتيح له ذلك، فأنزل بالعدو ضربات موجعة، رغم الفرق الشاسع بين الخصمين، كما كان الأمير المجاهد يتحمل ضربات عدوه بصبر وعزيمة عظيمين أدهشت الأعداء قبل الأصدقاء، وكان دائم الحضور في سوح الوغى باسمه تارة وبنفسه تارة أخرى، فلا عجب إذن أن لقبه الفرنسيون (بأبي ليل وبأبي نهار)[50].

ثالثاً: الاستراتيجية العسكرية

إن الاستراتيجية العسكرية للأمير تتلخص بكلمة واحدة وهي (الحركية)، فقد تميز في قدرته على استعمالها عملياً، فقد كانت خططه العسكرية تتغير حسب الظروف، فكانت غالباً على شكل اشتباكات بكميات صغيرة،

وفي بعض المرات على صورة حرب مواقع، غير أن طبيعة النضال الذي كان يقوده الأمير فرضت عليه حرب العصابات التي كان يجيدها إجادة خارقة للعادة، فكانت تفاجئ وتربك العدو، وهي التي جعلت الأمير أشهر وألمع قائد عسكري في هذا النوع من الحروب[51].

إن انتهاج الأمير في تدريبه لجيشه لمبادئ قتالية خاصة، رأى حسب فكره القيادي الاستراتيجي العسكري بأنها صالحة لجنده، وكانت نابعة من معرفته بطبيعة البلاد بجبالها ومسالكها، فاستفاد من هذا في أن يكون دوماً صاحب المبادرة في النزال، ومفاجأة العدو ومهاجمته من حيث لا ينظر، وقد شابهت معارك الأمير آنذاك حرب العصابات الحالية، فتخلى عن الحرب النظامية بسبب عدم تكافئ الطرفين في العدة والعدد، واعتمد أسلوب المباغتة والكر والفر بما يلائم قواته، وليس هذا جهلاً من الأمير بخطط المعارك، ولكنه فضل المباغتة والكمائن ورفض التقيد بقانون قتال أو تنظيم معين[52].

وإذا كانت حرب العصابات تأتي دائماً بثمارها في تكبيد العدو خسائر ثقيلة، فإن رد فعل العدو ضد القبيلة المشتبهة في تبليغها المعلومات يكون وحشياً ولا يعرف الرحمة، ولهذا فإن الأمير لم يكن يستعملها إلا بأقصى قدر من الحيطة والحذر، بعد التأكد من حظوظ نجاحها، وكانت معرفة الأمير الجيدة للميدان تمنحه هو وجيشه تفوقاً ملحوظاً على القوات الفرنسية، فكانت تسمح له بفضل حركيته ومصالح استخباراته باستدراج العدو إلى الأماكن الأكثر ملائمة، وقد كان الجيش الفرنسي على العكس من ذلك يبحث عن حرب المواقع المفتوحة ليرغم الأمير على الاشتباك في المعارك، فكان في هذه الحالة يصاب بخسائر إلا أنه كان أيضاً يكبد العدو مثلها، وكان دائماً يتمكن من الاحتراز في ظروف حسنة[53].

كما تجدر الإشارة إلى أن الأمير اعتمد على استراتيجية عسكرية محكمة أخرى في حربه مع الفرنسيين، هدف من خلالها إلى محاصرة الفرنسيين في المدن الساحلية التي وقعت في قبضتهم (كوهران، مستغانم، الجزائر، عنابة)، ومن هنالك إجبارهم على الرجوع من حيث جاؤوا، وبعبارة أخرى رميهم في البحر، أن هذه الاستراتيجية دفعته إلى وضع مجموعة من الخطوط الدفاعية أو الجبهات لعرقلة تقدم جيوش العدو نحو الداخل كالآتي[54]:

1. فرض حصار على المدن الساحلية المحتلة بالاعتماد على القبائل الموالية للأمير والمقيمة قرب هذه المناطق، أوكلت إليها مهمة محاصرة ومناوشة قوات العدو باللجوء إلى الهجمات الخاطفة والمباغتة، إلى جانب فرض نوع من الحصار الاقتصادي بمنع وصول المؤونة إليها انطلاقاً من المدن الداخلية، حيث دعمها بكل ما تحتاج إليه في تنفيذ هذا الحصار، فشكلت بحق جبهة متقدمة في الاستراتيجية العسكرية للأمير.
2. التركيز على المدن الداخلية الموازية للمدن الساحلية (تلمسان، معسكر، مليانة، المدية) التي كانت خاضعة لسلطة الأمير، إلى جانب محاولته ضم (قسنطينة) إلى هذا المخطط، وهي مدن ذات أهمية استراتيجية بالنسبة إليه وفي نفس الوقت للفرنسيين الذين عملوا بدورهم للاستيلاء عليها.

3. إقامة عدد من المراكز المحصنة جنوب المناطق التّلّية على مشارف الصحراء في مناطق محصنة طبيعياً، تكون بعيدة عن مراكز استقرار الاستعمار الفرنسي، وبنيت هذه المراكز جنوب المدن الداخلية الخاضعة للأمير، فأقيم مركز (سبدو) جنوب مدينة (تلمسان)، ومركزيي (سعيدة وتاقدمت) جنوب مدينة (معسكر)، ومركز (بوغار) جنوب مدينة (المدية).

إن من بين أهم الحصون التي بناها الأمير على مشارف الصحراء كانت (تاقدمت)، وهذا ما دفعه إلى اتخاذها عاصمة ثانية لدولته بعد سقوط مدينة (معسكر)، واتخاذها قاعدة يلجأ إليها عند الحاجة أو الخطر، إضافة إلى مجموعة من الأهداف نلخصها فيما يلي:

1. موقعها الاستراتيجي، فهي تقع على هضبة في أرض صعبة المسالك قرب جبال الأطلس الصحراوي، مما يمكنها من صد أي هجوم فرنسي ضدها، كما أنها تقع في موقع وسط بين حدود المغرب الأقصى ومدينة الجزائر [55].
2. اتخاذها مركز تجاري للتبادل بين قبائل الصحراء ومدن التل، خاصة وأن المناطق الواقعة على تخوم الصحراء عرفت نشاطاً تجارياً منذ القدم، وبالخصوص خلال الفترة الإسلامية مثل (تيهرت) و (قلعة بني حماد) و(أشير)[56].
3. اتخاذها كموقع يراقب من خلاله تحركات القبائل الصحراوية ليبقيها تحت سيطرته ويضم أراضيها إلى دولته، وفي هذا الإطار تندرج حملته ضد (عين ماضي) التي وصلها الأمير بعد عشرة أيام من السير، على رأس جيش قوامه ستة آلاف فارس وثلاثة آلاف جندي من المشاة، وتمكن في الأخير من إخضاعها لسلطته[57].

الخاتمة

أن الذي يبحث عن عظمة "الأمير عبد القادر الجزائري" وفكره القيادي الاستراتيجي في شقيه السياسي والعسكري، يبقى متعجباً نظراً لما وصل إليه من مكانة خلال مراحل طويلة من الكفاح، وضعته ضمن قمة نماذج القادة الاستراتيجيين المتسمين بالبطولة والمجد، إما مصدر عظمة الأمير نجدها في أمرين اثنين: أحدهما فطري طبيعي، والآخر وضعي اكتسابي، أما مصدر العظمة الفطري الطبيعي للأمير فلكونه ابن عائلة شريفة عظيمة الشأن وكريمة المنشأ وطيبة الخلق، ولكونه من جهة أخرى ابن والد اجتمعت فيه خصال البطولة وشرف التدين والسطوة الروحية، وأما المصدر الوضعي الاكتسابي فلكونه قاد حروباً طاحنة وخاض معارك عنيفة، طيلة سبعة عشر عاماً ضد دولة كبرى وهي فرنسا وجيشها المنظم وقام ببناء دولة جزائرية منظمة بفضل حنكته السياسية والعسكرية. إن كل هذا وذاك ساعد الأمير على إنشاء شخصيته القيادية الاستراتيجية العبقرية (السياسية والعسكرية)، إذ استمد من والده أصول السياسة، وتعلم من العدو الخبرة العسكرية الحربية، بفضل الحروب الطاحنة التي خاضها معه، فقد أمكن أن يصبح شخصية كبيرة له مقامه ومكانته في تاريخ الثورات التحررية، ولم تنثني همته عن تحقيق ما فيه راحة البلاد، إذ بفضل دهائه العظيم تمكن من صد المعتدين والوقوف دون احتلالهم للبلاد قرابة السبعة عشرة أعوام، أما شجاعة الأمير فلا يختلف عليها اثنان، وهي قوة روحية ومعنوية أورثته حب التضحية في سبيل الشعب والوطن، ومن أجل العز والشرف والحرية والاستقلال.

الهوامش:

(1) علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر: قائد رباني ومجاهد إسلامي ، ط1، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص100.

(2) محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، ط1، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م، ص304.

(3) محمد كامل حسن المحامي, عظماء الإسلام (الأمير عبد القادر الجزائري)، ط3، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص22.

(4) شارل هنري تشرشل, حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله, ط1, عالم المعرفة, الجزائر، 2009م, ص ص61-62.

(5) محمد كامل حسن المحامي, مصدر سبق ذكره, ص23.

(6) شارل هنري تشرشل, مصدر سبق ذكره، ص62.

(7) محمد كامل حسن المحامي، مصدر سبق ذكره, ص24.

(8) المصدر السابق, ص29.

(9) وسيلة مرباح، شعر الأمير عبد القادر الجزائري: الرؤية والإرادة، أطروحة دكتوراه منشورة, جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة1، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها, 2016م، ص13.

(10) شارل هنري تشرشل, مصدر سبق ذكره، ص69.

(11) المصدر السابق, ص ص71-72.

(*) وهي ضربة إصابة قنصل فرنسا (بيار ديفال) من طرف (الدّاي حسين) الحاكم العثماني لولاية الجزائر، يوم 29 نيسان 1827م الموافق 1 شوال 1243ه، الذي كان يوم عيد الفطر المبارك للمسلمين، بسبب حصول منافرة بينهما، إذ هنالك روايات متعارضة من القنصل ومن الدّاي: فالدّاي يتحدث عن ضربة خفيفة ناجمة عن محادثات تميزت بالشدة في موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية، وفي تقرير موجه إلى السلطان العثماني (سليم الثالث)، أكد الدّاي أن القنصل الفرنسي أجاب بكلام شاتم للدين الإسلامي لشخصية السلطان، بينما حول القنصل الفرنسي القضية إلى قضية تمس بشرف فرنسا، في حين أنه هو الذي أهان بكلامه الإسلام والدولة الجزائرية. للمزيد ينظر: علي محمد محمد الصلابي, كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ط1، دار المعرفة, بيروت، (د.ت)، ص267.

(12) أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون أرض الجزائر، ترجمة: رفاعة رافع الطهطاوي، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م، ص6.

(13) يحيى بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965م، ص189.

(14) محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، ط1، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م، ص83.

(15) المصدر السابق, ص ص84-85.

(16) وسيلة مرباح، مصدر سبق ذكره، ص16.

(17) عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري, تحقيق: محمد الصغير بناني وآخرون، ط1، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007م، ص124.

(18) محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، مصدر سبق ذكره، ص91.

(19) عبد القادر الجزائري، مصدر سبق ذكره، ص142.

(20) محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، مصدر سبق ذكره، ص96.

(21) عبد القادر الجزائري، مصدر سبق ذكره، ص143.

(22) محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص103-104.

(23) المصدر السابق, ص ص115-118.

(24) وسيلة مرباح، مصدر سبق ذكره، ص18.

(25) شارل هنري تشرشل, مصدر سبق ذكره، ص ص317-318.

(26) علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر: قائد رباني ومجاهد إسلامي، مصدر سبق ذكره، ص ص485-486.

(27) علي محمد محمد الصلابي, كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، مصدر سبق ذكره , ص526-531.

(28) يحيى بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص74.

(29) نزار اباضة, الأمير عبد القادر: العالم المجاهد, ط1، دار الفكر, دمشق, 1994م، ص38.

(30) صالح بوسليم ومحمد الزين، مبدأ الشورى في نظام الحكم بدولة الأمير عبد القادر الجزائري، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد خاص، 2012م، ص81.

(31) A.V.Dinssen, L`emir Abed-el-Kader chevalier de la foi, Anep, 2007, P.53.

(32) الحاج مصطفى ابن التهامي، سيرة عبد القادر وجهاده، تحقيق: يحيى بو عزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1995م، ص107.

(33) ودان بوغوفالة، الأمير عبد القادر: عبقرية في الزمان والمكان، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت)، ص127.

(34) يحيى بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مصدر سبق ذكره، ص83.

(35) مجاود محمد، الفكر الوطني التحرري عند الأمير عبد القادر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد خاص، 2012م، ص18.

(36) الكلونيل أسكوت، مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص16.

(37) يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو العيد دودو، ط1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009م، ص10.

(38) يحيى بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مصدر سبق ذكره، ص ص96-97.

(39) شارل هنري تشرشل, مصدر سبق ذكره، ص113.

(40) ودان بوغوفالة، مصدر سبق ذكره، ص129.

(41) المصدر السابق، ص131.

(42) الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، 2000م، ص30.

(43) عبد الرزاق بن سبع, الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ط1، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (د.ب)، 2000م، ص ص32-33.

(44) سهير حملاوي، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة ماجستير منشورة, جامعة محمد خيضر (بسكرة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (قطب شتمة)، 2015م، ص36.

(45) عبد الرزاق بن سبع, مصدر سبق ذكره، ص34.

(46) نصيرة بو عيشة وسناء نوادري، الفكر السياسي والديني عند الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد بوضياف(المسيلة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018م، ص ص60-61.

(47) عبد الرزاق بن سبع, مصدر سبق ذكره، ص35.

(48) سهير حملاوي، مصدر سبق ذكره، ص44.

(49) برونو أتيين, عبد القادر الجزائري، ترجمة: ميشيل خوري، ط1, دار عطية للنشر، بيروت، 1997م، ص161.

(50) أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص10.

(51) علي محمد محمد الصلابي, كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، مصدر سبق ذكره, ص377.

(52) عبد الرزاق بن سبع, مصدر سبق ذكره، ص37.

(53) علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر: قائد رباني ومجاهد إسلامي، مصدر سبق ذكره، ص126.

(54) ودان بوغوفالة، مصدر سبق ذكره، ص ص193-194.

(55) الكلونيل أسكوت، مصدر سبق ذكره، ص87.

(56) ودان بوغوفالة، مصدر سبق ذكره، ص197.

(57) إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص172.

قائمة المصادر

1. الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق، ط1، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، الجزائر، 2000م.

2. أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

3. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

4. الحاج مصطفى ابن التهامي، سيرة عبد القادر وجهاده، تحقيق: يحيى بو عزيز، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1995م.

5. عبد الرزاق بن سبع, الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ط1، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (د.ب)، 2000م.

6. عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري, تحقيق: محمد الصغير بناني وآخرون، ط1، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007م.

7. علي محمد محمد الصلابي, كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، ط1، دار المعرفة, بيروت، (د.ت).

8. علي محمد محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر: قائد رباني ومجاهد إسلامي ، ط1، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

9. محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، ط1، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م.

10. محمد بن عبد القادر الجزائري, تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج2، ط1، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م.

11. محمد كامل حسن المحامي, عظماء الإسلام (الأمير عبد القادر الجزائري)، ط3، المكتب العالمي للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
12. نزار اباضة, الأمير عبد القادر: العالم المجاهد, ط1، دار الفكر, دمشق, 1994م.
13. ودان بوغوفالة، الأمير عبد القادر: عبقرية في الزمان والمكان، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت).
14. يحيى بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م.
15. يحيى بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965م.

الكتب المترجمة

1. أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون أرض الجزائر، ترجمة: رفاعة رافع الطهطاوي، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م.
2. الكلونيل أسكوت، مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
3. برونو أتيين, عبد القادر الجزائري، ترجمة: ميشيل خوري، ط1, دار عطية للنشر، بيروت، 1997م.
4. شارل هنري تشرشل, حياة الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو القاسم سعد الله, ط1, عالم المعرفة, الجزائر، 2009م.
5. يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، ترجمة: أبو العيد دودو، ط1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009م.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

1. سهير حملاوي، الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في دولة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة ماجستير منشورة, جامعة محمد خيضر (بسكرة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية (قطب شتمة)، 2015م.
2. نصيرة بو عيشة وسناء نوادري، الفكر السياسي والديني عند الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد بوضياف(المسيلة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018م.
3. وسيلة مرباح، شعر الأمير عبد القادر الجزائري: الرؤية والإرادة، أطروحة دكتوراه منشورة, جامعة الإخوة منتوري–قسنطينة1، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها, 2016م.

الدوريات

1. صالح بوسليم ومحمد الزين، مبدأ الشورى في نظام الحكم بدولة الأمير عبد القادر الجزائري، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد خاص، 2012م.
2. مجاود محمد، الفكر الوطني التحرري عند الأمير عبد القادر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد خاص، 2012م.

المصادر الأجنبية

1. A.V.Dinssen, L`emir Abed-el-Kader chevalier de la foi, Anep, 2007, P.53.